تقرير حول أشغال الملتقى الوطني الأول حول:
(الدراسات التاريخية في الجامعة الجزائرية: واقع وآفاق)

الأستاذ الدكتور مولود عويمر

جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله

ونحن نقترب من الذكرى الأولى لوفاة المؤرخ الكبير الدكتور أبي القاسم سعد الله، بادر قسم التاريخ بجامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله بتنظيم ملتقى وطني حول "الدراسات التاريخية في الجامعة الجزائرية: واقع وآفاق"، وذلك يومي 03 و 04 ديسمبر 2014 بقاعة المحاضرات الكبرى ببوزريعة. وقدم خلال اليومين أكثر من عشرين محاضرة، ألقاها أساتذة من مختلف الجامعات الجزائرية. كما تخللت المداخلات نقاشات مفيدة. وسأقتصر في هذه التغطية على عدد من المحاضرات التي استمعت إليها في اليوم الأول.

تجارب في تدريس التاريخ:

تحدث الدكتور محمد بن عميرة (جامعة الجزائر 2) عن مسيرته في قسم التاريخ بين 1967 و2013م مدرسا ومديرا لمعهد التاريخ في بداية التسعينات من القرن الماضي. والدكتور بن عميرة من خيرة المؤرخين الجزائريين المختصين في تاريخ المغرب الإسلامي الذي كرّس قرابة نصف قرن في دراسته وتدريسه لعدة أجيال وتأليف في شأنه كتبا وبحوث عديدة.

كذلك تكلم الدكتور أحمد شرف الدين (جامعة الجزائر 2) عن تجربته في تدريس تاريخ الاستعمار في إفريقيا وآسيا لعدة سنوات، وبيّن الصعوبات التي واجهها في البداية نظرا لبُعدها عن اهتماماته الأساسية، وندرة المصادر والمراجع في هذه الوحدة. غير أنه استطاع تجاوز كل العقبات، فانتقل من مسايرة المادة إلى التفاعل الإيجابي معها. وأشهد هنا أنني تابعتُ محاضرات الدكتور شرف الدين واستفدت منها رغم أن الوحدة لم تكن من الوحدات المحبوبة عندي، لكن تأقلمت معها بفضل الشروحات العميقة لهذا الأستاذ وطريقته الهادئة وأسلوبه الفصيح.

حصيلة البحث التاريخي:

أما في مجال البحث التاريخي، فقد عرض الدكتور محمد القورصو (جامعة الجزائر 2) نتائج الاستبيان الذي أنجزه مع طلبة الدراسات العليا، تخصص التاريخ العثماني. وكشف من خلالها تراجع إقبال طلبة اليوم على التحصيل العلمي. كما نبّه المحاضر إلى خطورة ظاهرة عزوفهم عن المطالعة التي هي مصدر أساسي في التكوين وبناء شخصية الباحث.

كما قدم الدكتور مولود عويمر (جامعة الجزائر 2) دراسة تحليلية للكتاب الذي أشرف عليه مع زميله الدكتور علاوة عمارة، والمعنون: (نصف قرن من البحث التاريخي في الجامعة الجزائرية 1962-2012م). وكشف إحصائيات كثيرة عن الرسائل الجامعية في مجال التاريخ (الدكتوراه، الماجستير، دبلوم الدراسات المعمقة) التي أنجزت في مختلف الجامعات الجزائرية من طرف الباحثين الجزائريين والأجانب. وقد أحصى منها: 1051 رسالة وأطروحة. ثم حلّل محتوياتها وبيّن النقائص الملحوظة، مقترحا في الأخير إجراءات ميدانية وظيفية للترقية بالبحث التاريخي إلى مستوى التحديات الراهنة والمستقبلية.

كذلك تحدث الدكتور مزيان سعيدي (المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة) عن إسهامات مجلة الدراسات التاريخية التي أسسها الدكتور ناصر الدين سعيدوني وأحياها مؤخرا الدكتور الحاج عيفة، في كتابة التاريخ الوطني. وقرأت أستاذة نقادي سميرة نص محاضرة الدكتور حمدادو بن عمر (جامعة وهران) التي حلل فيها صاحبها مضامين بعض الرسائل الجامعية التي أنجزت في رحاب جامعة وهران. أما الأستاذ بلقاسم قرباش، فإنه كشف عن مصادر أمريكية جديدة في تاريخ الجزائر العثماني بين 1776 و1830م.

واقع أقسام التاريخ الجديدة:

لقد تدعم البحث التاريخي في السنوات الأخيرة بفتح أقسام التاريخ عبر العديد من كليات العلوم الإنسانية، ورغم كثير من الصعوبات التي واجهتها، فإنها استطاعت أن تساهم في تكوين مختصين في التاريخ في تخصصاته المتعددة، وتدعم باستمرار الجهود المبذولة في سبيل ترسيخ مكاسب المدرسة التاريخية التي أسسها الجيل الأول من المؤرخين الأكاديميين في بلادنا.

وفي هذا السياق، قدمت عروض نموذجية من مسؤولي هذه الأقسام: وادي سوف الدكتور محمد السعيد عقيب، تيارت الدكتور محمد بليل، غرداية الدكتور إبراهيم سعيود... الخ. كما أكد كل متدخل على مساهمات قسمه في تنظيم عدة ملتقيات وطنية ودولية، لدفع عجلة البحث العلمي في مجال التاريخ، وتقريب الصلة بين المؤرخين الجزائريين من أجل تبادل الخبرات وانجاز أعمال مشتركة.

التاريخ في المنظومة التربوية:

لقد عالج بعض الأساتذة المتدخلين واقع تدريس التاريخ الوطني في المنظومة التربوية والجامعية. وهكذا، ألقى الدكتور بشير سعدوني محاضرة قيّمة لخص فيها خبرته في التعليم أستاذا في الثانوية، ومفتشا لمادة التاريخ وأخيرا أستاذا محاضرا بجامعة الجزائر بالإضافة إلى تآليفه الكثيرة في هذا الموضوع. وفي السياق نفسه قدم الأستاذ محمد حواس من المركز الجامعي بخميس مليانة قراءة عميقة في مناهج مادة التاريخ في المنظومة التربوية، وأوضح علاقاتها الضعيفة بالدراسات التاريخية المنجزة في الجامعة الجزائرية.

آراء في المنهجية:

تحدث الدكتور توفيق عبد الصمد مزاري (جامعة المدية) عن منهجية تدريس التاريخ مؤكدا على ضرورة مواكبة التطورات الحديثة الحاصلة في هذا المجال. أما الأستاذ لخضر فاضل (جامعة وهران) فإنه انتقد منهجية تدريس تاريخ الحضارات القديمة بالجامعة الجزائرية التي لا تختلف في نظره عن تلك المنهجية المتبعة في الجامعات الغربية، ولا تحترم بذلك خصوصياتنا الثقافية وعقائدنا الدينية.

وكان منتظرا أن تعالج مسألة نظام الجامعي الجديد (ل.م.د) نظرا لأهميته وصلته المباشرة بواقع التعليم الحالي الذي يراوح بين النظام القديم والنظام الجديد، وما يترتب عن تطبيقه من مشكلات كثيرة على مستوى المعادلات والتوظيف وغيرها.

وهكذا جاءت مداخلة الدكتور محمد الحبيب بشاري في ظرفها المناسب، فقدم دراسة مقارنة بين مناهج النظام الكلاسيكي والنظام الجديد، ليبين موضع الخلل الذي يكمن في نظره في سوء التطبيق وقلة الوسائل وليس في النظام بحد ذاته،

خاصة وأنه أثبت نجاحه في عدة دول أوروبية التي وفرت له البيئة المناسبة وكل الإمكانات المادية اللازمة.

ولابد في الأخير من توجيه تحيات التقدير إلى كل الأساتذة الذين ساهموا في إعداد هذا الملتقى التاريخي، وسهروا على نجاحه في جوانبه المختلفة، وأخص هنا بالذكر: الدكتور الحاج عيفة، (رئيس الملتقى)، ومساعده الدكتور لزهر بديدة.